

عنصر العاطفة في نهج البلاغة

دکتر سید خلیل باستان*

چکیده:

کتاب نهج البلاغه دارای ارزشهای فراوانی در زمینه های گوناگون می باشد ، و آنچه که ما اکنون می خواهیم آن را بیان کنیم اهمیت فنون ادبی این کتاب مقدس که زائیده اندیشه های پیشوای سخنوران و سرآمد نکته گوینان و جاودگر کلام و بیان امیرمؤمنان علی (ع) . و اندک درنگی نزد یکی از عناصر ادبی که به خطبه های بلیغ نهج البلاغه رنگ بخشیده و آن چیزی نیست مگر عنصر عاطفه .

با توجه به اینکه این درنگ گذرا و کوتاه است راه برای اندیشمندان هموار کرده و نظر ادیبان و شعرا را به منبع احساسات هدایت کرده و چگونگی به کارگیری همین احساسات در بیان مطالب از سوی کسانی که این کتاب شریف را در این زمینه (فنون ادبی) الگوی خود قرار داده اند. کاپیتور علوم اسلامی

واژه های کلیدی : عاطفه ، نهج البلاغه ، آراء ادیبان .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف الانبياء و المرسلين محمد و آله الطيبين الطاهرين . لا بدّ و ان نشير الى بعض المفاهيم للعاطفة قبل الخوض في صلب

الموضوع فنقول :

اولاً: تعريف العاطفة :

* دانشگاه علامه طباطبائی

العاطفة فى اللغة مشتقة من العطف، و لها استعمالات مختلفة فهى متعدية مثل قولك عطف الوسادة : اى ثناها، و عطف الشىء : اى أماله و حناه و عطف الثوب : اى ارتداه ، و تتعدى ب (الى و على و عن) مثل قولك عطف الى : اى مال ، و عطف عن : اى انصرف و عطف على : اى اشفق على . و تستعمل فى الابواب المزيدة مثل تعاطف فى مشيه : اى حرك رأسه و تمايل ، و تعاطفوا: اى عطف بعضهم على بعض و انعطف : اى انشئ . و تعطف عليه : اى اشفق ، و العاطف: اى الازار ... و كذلك يقال عطفت الناقة على ولدها : اى حنت عليه ، و تعطف عليه : اى رق له و بره و اما العاطفة فتسعمل بمعنى الشفقة او الرحم و يقال امرأه عطوف : محبة لزوجها او ابنها ، و الذى ذكرناه باختصار عما ورد فى اللسان لابن منظور ج ٢: ٨١٢ ، و مجمع البحرين للطريحي ص ٣٨٥ ، و التاج للزبيدي ج ٢: ٢٠٠ ، و الصحاح للجوهري ج ٤: ١٤٠٥ .

و لكن ارى الراغب الاصفهاني يخصص الكلام و أصاب البيان لما قال : العطف يقال فى الشىء إذ اتى أحد طرفيه الى الآخر كعطف العنق و الوسادة و الحبل و ... و يستعار للميل و الشفقة اذا عدى ب (على) عطف عليه و ثناه و ...

و اذا عدى ب (عن) يكون على الضد نحو عطف عن فلان (١)

ثانياً : ماهية العاطفة :

المقصود بها مقابلة الفكر (العقل) ، فالادراك البشرى يتخذ مجراه عن طريق هذين العنصرين ، و لابد للعاطفه ان تشغل حيزاً صغيراً حياً الاستجابة البشرية :

ثالثاً : تفاوت العاطفة :

فهى تختلف عن انسان الى آخر ، و فى موضوع الى آخر ، كما تختلف بصمات الاصابع بين الناس ، فالتشابه فى العاطفة محال كما هو الحال فى البصمات لليد و الصوت .

فهي تشتد اجباناً و تضعف اخرى لدى البشر ، فالادباء يحملونها على اشد الوانها و الآخرون اقل ، و لها مراتب مختلفة بين الادباء .

فالاديب بواسطتها يطلع على خفايا و اسرار الحياة ما لم يطلع عليه الآخرون ، و هو يحسها في صميمها مجردة عن الملابس و الحدود الزمنية ، يحسها كما انبقت اول مرة من نبعها الاصيل ، و كما تدفقت غير منقطعة في مجراها الواسع الكبير .

رابعاً : اهمية العاطفة :

و للعاطفة دور كبير ، خاصة في الخطب و الشعر الغنائي ؛ فانه يتطلب موقفها الى العاطفة اكثر تحريكاً للجمهور و استثارة لمشاعرهم و احساسهم ، و بناء على هذا تحتل العاطفة فيهما مساحة اكبر .

خامساً : خلود الادب :

بها و بعناصر اخرى تمنح الادب صفة الخلود و البقاء حيث هي العامل المحرك لاحساس الادباء و الجماهير معاً حيث اطلع عليها النقاد القدامى و المعاصرون ، و سنقف على آرائهم بعد قليل .

سادساً : مصدر العاطفة :

جعلها صاحب العمدة في اربعة اشياء قائلاً : قواعد الشعر اربع: الرغبة و الرهبة و الطرب و الغضب (٢) ، و جعلها آخرون في اثاره الجمال ... و هناك طائفة اخرى ارجعوها الى المشاركة في الحياة .

و الرأي الأول اقرب الى الصواب .

سابعاً : موطنها القلب .

جعلها ابن ابي الحديد في القلب و النفس ذلك لما عبر عن مشاعره و تأثره بالخطبة ١٠٩ قائلاً: لينظر الناظر الى ما عليها من البهاء و الجلالة و الرواء و الديباجة و ما

يحثه من الروعة والرهبه والمخافة و الخشية . (٣) فلاتحصل الرهبه و الخوف والرغبة و الخشية الا فى القلب . او يقول فى الخطبة ٢٢١ من أراد أن يعظ او يخوف و يقرع صفات القلب ... فليأت بمثل هذه الموعظة، و اخرى عبّر عنها بالطبيعة حيث يقول فى شرحه للخطبة ٢٢١ و أنى لا طيل التعجب من رجل يخطب فى الحرب بكلام يدلّ ان طبعه مناسب لطباع... ثم يخطب فى ذلك الموقف بعينه اذا اراد الموعظة بكلام يدلّ على ان طبعه مشاكل لطباع الرهبان . (٤) فموطن العاطفة عند ابن ابى الحديد (القلب) الذى يشعر به الروعة و الرهبه فاذا رسخت فى القلب اصبحت من طبيعة الانسان و الى هذا المعنى اشار البحرى فى قصيدته التى يصف فيها الذئب قائلاً:

فاتبعها اخرى ، فاظللت نصلها بحيث يكون اللبّ و الرعب و الحقد و ما يقصد من وراء اللبّ و الرعب و الحقد الا القلب ، و اثبتت الدراسات الحديثة بانها كشفت موطن الخوف فى القلب .

نعم لقد سبق القرآن العظيم الادباء قاطبة فى هذا المضمار و فى هذا المعنى لما قال :

١- سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب (آل عمران ، ص ١٥١)

٢- و اذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة (الزمر، ٤٥)

٣- أنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله و جلت قلوبهم (الانفال ، ٢)

٤- ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله (الحديد ، ١٦) .

و الى آيات و آيات كثيرة ، ارجو من الله تعالى ان يوفقنى يوماً لاستخراج المعانى المختلفة المستعملة فى القرآن الكريم و المحاور التى تطرق اليها .

ثامناً : شروط العاطفة : جعلها ابن الحديد فى شرطين ، الاول : تكون العاطفة قوّة بحيث لو كان المستمع صخرا لذابت قواه كما ذكر ابن ابى الحديد فى الخطبة ١٠٩ قائلاً

: حتى لو تليت على زنديق ملحد مصمّ على اعتقاد نفى البعث و النشور لهدمت قواه و أربعت قلبه و أضعفت نفسه و زلزلت اعتقاه، الثاني: التسليم : يجب ان تكون العاطفة مؤثرة في مستمعها بحيث يتم الاستسلام له في النهاية كما يقول ابن ابي الحديد في شرحه الكتاب ٣١: (٥) اسقر أنى ابوالفرج محمد بن عباد (ره) ، و أنا يومئذ حدث هذه الوصية ، فقرأتها عليه من حفظى فلما وصلت الى هذا الموضع صاح صيحة شديدة و سقط و كان جبّاراً قاسى القلب ، و تراه يقول فى شرح الخطبة ٢٢١: و ينبغى لو اجتمع فصحاء العرب قاطبة فى مجلس وتلى عليهم ان يسجدوا له كما سجد الشعراء لقول عدى بن الرقاع : (قلم اصاب من الدواة مدادها) .

فلما قيل لهم فى ذلك قالوا: أنا نعرف مواضع السجود فى الشعر كما تعرفون مواضع السجود فى القرآن . (٦) و يقول فى الخطبة ٩١ : و اقسام ان هذا الكلام اذا تأمله اللبيب أقشعر جلده و رجف قلبه و استشعر عظمة الله العظيم فى روعه و جلده و هام نحوه و غلب الوجد عليه و كاد ان يخرج من مسكه شوقاً و ان يفارق هيكله صباية و جداً.

والخلاصة ، يجب ان تكون للعاطفة اثر السحر بحيث تؤدى فى النهاية الى الاستسلام و الرضوخ مهما كان المخاطب قاسى القلب .

و ان كان المخاطب موالياً فليس له الا طريق السجود امامها . فاذا كانت كذلك فهى توجب الفخر و الاعتزاز ، و الخلود البقاء .

تاسعاً: صدق العاطفة :

يقول سيد قطب : (۷) و ان يكون للشاعر طابع خاص و ان يستطيع ان يصلنا بالكون الكبير اذا كان صادقاً ... و لكن اى صدق ؟ لسنا نعى الواقعى ، فذالك مبحث يهم الاخلاق، انما نعى صدق الشعور بالحياة و صدق التأثر بالمشاعر اى الصدق الفنى).

هذا و بعد الوقوف قليلاً عند بعض المصطلحات فى هذا الباب نسوق الحديث حول بعض الذين تأثروا عاطفياً بنهج البلاغة قديماً و حديثاً من ارباب الفن و الادب الذين طار صيتهم فى الآفاق و شغلت مآثرهم مدى الازمان من اصحاب العقائد المختلفة من الشعبين العربى و الايرانى ، و نقف على جانب من اهمية نهج البلاغة الذى هو دون كلام الخالق و فوق الكلام المخلوق ، ثم نتخذة منطلقاً عملياً فى حياتنا اليومية و به سنكتسب المعالى و نفوز بالجنان .

فنشير اولاً الى المعاصرين لامير المؤمنين (ع) و الى القدى من اهل الادب ثم الى المعاصرين للفترة الحديثة فمن الطائفة الاولى :

۱- ابن عباس (حبر الامة) : طرب ابن عباس لكلام امير المؤمنين (ع) فى خطبته الثالثة من نهج البلاغة (الشقشقية) ، و تمنى ان يستمر على (ع) فى كلامه و ذلك لما قال: يا امير المؤمنين : لو اطردت خطبتك من حيث افضت (و ما كانت هذه الا عن طريق العاطفة)، فا جابه قائلاً : هيات يا بن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قررت ، و فى ذلك الحين ابرز ابن عباس اسفه الشديد و عاطفة المتأججة متمسكاً بالقسم العظيم قائلاً : (فو الله ما اسفت على كلام قط كاسفى على هذا الكلام الا ان يكون امير المؤمنين (ع) بلغ منه حيث اراد) (۸).

و يقول صاحب الكاشف نقلاً عن ابن عباس : انه كان يسراً و يفرح حين يقول : (ما انتفعت بعد كلام رسول الله (ص) كانتفاعى بهذا الكلام (۹) يقصد به قول على (ع) : بينا هو

يستقيها فى حياته، فظاهر الفرح و السرور ما هو الا الطرب الذى هو احد اركان العاطفة .

٢- ابن عفيف الازدى (١٠) :

يقول الجاحظ لما انتهى امير المؤمنين (ع) من خطبة الجهادية ٢٧، (قام رجل من الازد يقال له فلان بن عفيف ثم اخذ بيد اخ له فقال : يا امير المؤمنين : انا و اخى كما قال الله : ربّ ائى لا املك الا نفسى و اخى، فمرنا بامرک ، فوالله لنضربنّ دونک و ان حال دونک جمر الغضا و شوک القتاد) (١١) و اعلم ان الاستعداد من قبل الشعب للبراز و الخوض فى سوح القتال ليس بالامر البسيط كما يقول ربّ العالمين (مالکم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله انا قلتم الذى الارض) (التوبه ، ٢٨) ، لان الانسان يعلم ان الموت فى ساحة القتال متحمل جداً فعليه ان يهرب منه الا ان يكون قد اثر فيه سحر البيان ، كما نرى ان هذا الشيور يتصاعد التهاباً عند ابن عفيف بكل شوق و حرارة :

٣- همّام (١٢) (من احد اصحاب امير المؤمنين (ع) و كان عابداً زاهداً):

من المعلوم ان الحبّ يمثل اعالى قتل العاطفة فما من اديب او شاعر الا و مارس الحبّ فى حياته ، و عشق هذه العاطفة دهرًا من زمانه حتى افراط فيها بعض الشعراء فاصبحوا مجانين كما يقولون ، فعاقبة هذا الحبّ ان تجعل الانسان مجنوناً ، وهل سمعت عمّن مات حباً او عشقاً ؟ ربّما ... و لكن انظر الى هذه العاطفة ، عاطفة الحبّ فى الله ، كيف تصنع باهلها ؟ و انظر الى امير المؤمنين (ع) كيف اخذ يصعد لهيب نار هذه العاطفة عند همّام ؟ حتى اشتاق همّام لربّ العالمين و وصل الامر به الى ما وصل اليه من تسليم نفسه الظاهره لملكها القدير .

٤- الجمهور:

يقول السيد الرضى (ره) في الخطبة ٨٣ المسماة بالغراء : جاء في الخبر انه لما خطب الامام (ع) بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود ، و بكت العيون و رجفت القلوب . وهذا هو الهدف الاسمي في الادب هو ان يثير الاديب الاحاسيس لذى الجماهير عن طريق الاسماع الواعية و الانظار الناقبة و العقول الحازمة ، بحيث من يسمع يخشع قلبه ، و من يرى يعتبر ، كما يقول الامام (ع): فهل ينتظر اهل بضاضة (رقعة جلد) الشباب الاحوانى الهرم ؟ و اهل غضارة الصحة الانوازل السقم؟ و اهل مدة البقاء الا آونة الفناء؟ ثم يخاطب العقول قائلاً: ام هذا الذى انشاه فى ظلمات الارحام ، و شغف الاستار (استعارة للمشيمية) نطفة دهاقاً و علقمة محاقاً و جنيناً و راضعاً وليداً و يافعاً... هكذا ترى روح الحب و الشوق حاكمة على ارجاء هذا الخطبة و ما يشبهها و ليس للمخاطب طريقاً سوى الاستسلام امامها كما يقول الرضى (ره) . هكذا تصنع العواطف الدينية الصادقة باهلها و مخاطبيها .

و اما من الطائفة الثانية :

١- السيد شريف الرضى:

الف: قول السيد (ره) فى مقدمته لنهج البلاغة (١٢) : فاجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والادب ... ، فالذى يقدم على اختيار المحاسن من الكلام لا بد ان يكون من ارباب الصنعة اولاً ثم لا تطاوعه نفسه الى هذا العمل الجبار الا بعد ان تأثرت نفسه بالكلام ، بل قل لا يتسم هذا الاختيار الا بعد الاحساس و الشعور بالعاطفة النابضة بالحياة لكلام المولى (ع) .

باء : و يقول السيد (ره) فى خطبة : ٢١ من نهج البلاغة (١٣) : ان هذا الكلام (تخففوا تلحقوا) لو وزن بعد كلام الله سبحانه و بعد كلام رسول الله (ص) بكلّ كلام لمال به راجحاً و برز عليه سابقاً.

فأنك لترى فى كلام الرضى (ره) سرّ اختياره لكلام امير المؤمنين (ع) بعد ما ابرز العاطفة بصورة حكم على كلامه (ع) و هذا يدلّ على عمق تأثيره بهذه العاطفة، و الا كان يمرّ من جانبه مرّ الكرام ، و لقد ابرز السيد (ره) هذه العواطف فى مواطن مختلفة من النهج فمنها الخطبة ٢٨ (١٤) حيث يقول : لو كان كلام يأخذ بالاعناق الى الزهد فى الدنيا ، و يضطر الى عمل الآخرة لكان هذا الكلام ، وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال و قادحاً زناد الاعتاظ و الازدجار ، و كذلك ترى تصاعد هذه العاطفه عند الرضى (ره) لما يواجه الكلمات القصار ذات الفصاحة و البلاغة ، و يصدر احكامه بحكمة بالغة حيث يقول فى الحكمة ٨١ قال عليّ (ع) : قيمة كل امرى ما يحسنه ، قال الرضى : و هى الكلمة التى لا تصاب لها قيمة و لا توزن بها حكمة ، و لا تقرن اليها كلمة : و كذلك تجد رأياً مشابها لهذا الرأى من قبل الجاحظ ، ثم انظر الى رأيه فى الحكمة ٨٨ حيث يقول : و هذا من محاسن الاستخراج و لطائف الاستنباط . ثم يبلغ به الامر الى حدّ الاستغراب فى عاطفة لما يصل الى الحكمة ٩٣ فيقول : و هذا من غريب ما سمع منه فى التفسير ، و اخيراً لنستمع له فى الحكمة ١٥٠ حيث يقول : و لو لم يكن فى هذا الكتاب الا هذا الكلام (لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل ...) لكفى به موعظة ناجعة و حكمة بالغة و بصيرة لمبصر و عبرة لناظر مفكر.

٢- عبدالحمید بن یحیی (١٥) و ابن نباته (١٦) : (يعتقدان ان نهج البلاغة معين الادباء و البلغاء) ينقل ابن ابی الحديد (١٥) : قال عبدالحمید بن یحیی حفظت سبعین خطبة من خطب الاصلع ففاصت ثم فاضت (١٧) .

فخطبه (٦) من وجهه نظر هذا الكاتب (القليل الادب) مصدر العاطفة بل قل انها الينبوع الفوار للعواطف والى هذا المعنى يشير ايضاً ابن نباته بقوله : حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيد الانفاق الا سعة و كثيرة ، حفظت مائة فصل من مواعظ على بن ابی طالب .

٣- ابن ابی الحديد :

كفاه فخراً انه صاحب اكبر شرح بقى خالداً في ساحة الادب طول الدهر . بحيث يعدّ شرحه اليوم لنهج البلاغة من امهات المصادر ، والذي يطالع هذا السفر العظيم سيقف على ثقافة ابن ابی الحديد الادبيّة ، و ذوقه الغنيّ و ... ، و أنّا اخترنا فقرات ثلاثة من تعليقاته في النهج ترشدنا الى تأثيره الكبير بعنصر العاطفة المتجلية في ادب نهج البلاغة العظيم .

الف: يقول ابن ابی الحديد في مقدمته (١٨) : و رصعه (ابن ابی الحديد) من المواعظ الزهديّة والزواجر الدينيّة والحكم النفسيّة و الادب الخلقية لفقره (نهج البلاغة) ، والمشاكله لدرره ، و المنتظمة مع معانيه في سمط (الخيطة مادام الدر منتظماً فيه) ، المتسقة مع جواهره في لطف (قلادة) ، بما يهزأ بشنوف (القسراط) النضار ، و يخجل قطع الروض غب القطار .

تعبيره : المشاكلة ... المنتظمة ... المتسقة ... تدلّ على عمق تأثيره عاطفياً بادب نهج البلاغة .

باء : يقول ابن ابي الحديد في الخطبه ٩١ المسماة بالاشباح: و اقسام ان هذا الكلام اذا تأمله اللببت اقشعرّ جلده ، و رجف قلبه ، و استشعر عظمة الله في روعه و جلده ، و هام نحوه ، و غلب الوجد عليه، و كاد ان يخرج من مسكه شوقاً و ان يفارق هيكله صباة و وجداً .

ترى في هذا الكلام تعالى المحبة حيث اتخذت من الشوق مظلة و من الوجد لونا ثابتاً، فحيى الله هذا الجمال العاطفى الذى لا يتمالكه الادباء و لا يفارقه المستمعون ، فعلىنا الاقبال على هذا الفن الادبى الخصب ، المملوء بالعواطف و الحب ، فما احوجنا اليه فى ايامنا هذه و حتى الايام المقبلة .

جيم : رأى و قسم و عاطفة :

انظر الى هذا الاعجاز الادبى لكبير الفنانين ، صاحب النظرة الثاقبة فى الفن الادبى ، ذى التجارب الادبية الناصعة ، كيف مزج الفكر (العقل) بالعاطفة فى بيانه التالى ؟ يقول ابن ابي الحديد فى شرحه (١٩) الخطبة ٢٢١ : لما وصل الى هذه العبارة (سلكوا فى بطون البرزخ ... الى آخر الخطبة) ، من اراد ان يعظ و يخوف و يقرع صفات القلوب ، و يعرف قدر الدنيا و تصرفها باهلها فليأت بمثل هذا الموعظة فى مثل هذا الكلام الفصيح ، و الا فليمسك ، فان السكوت استر ، و العى خير من منطق يفضح صاحبه .

و من تأمل هذا الفصل علم صدق معاوية فى قوله فيه (والله ما سن الفصاحة لقريش غيره) ، و ينبغى لو اجتمع فصحاء العرب قاطبة فى مجلس ، و تلى عليهم ان يسجدوا له كما سجد الشعراء لقول عدى بن الرقاع (٢٠) (قلم اصاب من الدواة مدادها) فلما

قیل لهم فی ذلك قالوا : أنا نعرف مواضع السجود فی الشعر كما تعرفون مواضع السجود فی القرآن (٢١) .

و انی لا طیل التعجب من رجل یخطب فی الحرب بكلام یدلّ علی ان طبعه مناسب لطباع الاسود و النمر و امثالها من السباع الضاریة ، ثم یخطب فی ذلك الموقف بعینه اذا اراد الموعظة بكلام یدلّ علی ان طبعه مشاكل لطباع الرهبان لابسى المسوح الذین لم یأكلوا لحماً و لم یریقوا دماً ، فتارةً یكون فی صورة بسطام بن قیس الشیبانی (٢٢) و عتیبة ابن الحرث الیربوعی و عامر بن الطفیل العامری (٢٣) ، و تارةً یكون فی صورة سقراط الحبر الیونانی و یوحنا المغمدان الاسرائیلی و المسیح ابن مریم الالهی .

و اقسام بمن تقسم الامم كلها به ، لقد قرأت هذا الخطبة منذ خمسين سنة و السی الآن اكثر من الف مرة ، ما قرأتها الا و احدثت عندی روعة و خوفاً و عظمة ، و اثرت فی قلبی و جیبا (خوفاً) و فی اعضائی زعدة و لا تأملتها الا و ذكرت الموتی من اهلی و اقاربی و ارباب و دى ، و خيلت فی نفسی انی انا ذلك الشخص الذى وصف علیه السلام حاله .

وكم قد قال الواعظون و الخطباء و الفصحاء فی هذا المعنى ، و كم وقفت علی ما قالوه و تكرر وقوفی علیه فلم اجد لشيء منه مثل تأثير هذا الكلام فی نفسی فاما ان یكون ذلك لعقیدتی فی قائله ، او كانت نية القائل صالحة و یقینه كان ثابتاً و اخلاصه كان محضاً خالصاً ، فكان تأثيره قوله فی النفوس اعظم و سریان موعظته فی القلوب ابلغ . و الكلام واضح لا یحتاج الى تفسیر .

و اما المعاصرون للفترة الحديثة :

فهم على قسمين : مسلمين و مسيحين ، فالمسلمون على قسمين ايضاً منهم الايرانيون ومنهم العرب و اما الايرانيون فنذكر منهم :

١- العلامة محمد دشتى (الذى انتقال الى جوار ربّه اخيراً) وله الترجمة المعروفة ب (نسخه المعجم المفهرس دشتى) (٢٤) يقول فى مقدمته نقلاً عن جورج جرداق الاديب المعروف الذى تأثر بكلام امير المؤمنين على (ع) و أوجد فيه نشاطاً حازماً جعله يطالع نهج البلاغه مائتى مرة، يقول العلامة الشيخ دشتى ان هذا الكلام اثر فى كثيرًا و هزّ القيم الشعورية عندى و اثار العصبية الدينية لدى ، فلم اكن اتمالك نفسى لمدة من الزمن .

فانظر الى العاطفه عند الاثنين ماذا صنعت بهما ؟ و ماذا تصوغ و تنتج ؟

٢- العلامة فيض الاسلام (٢٥) .

وهو من المترجمين المعاصرين حيث يقول : كنت اطالع هذا الكتاب المقدس فكان شوقى و تدبرى يزداد فيه يوماً بعد يوم فكنت لا ارى شيئاً سوى كتاب نهج البلاغه و لم اسمع كلاماً الاّ كلام امير المؤمنين (ع) . هكذا هو ادب نهج البلاغه ، يؤثر على العواطف المستقرّة فى نفوس اصحاب الادب و ارباب الفنّ فمتى ما وصل الاديب الى سلم الترقى فباليقين سيصيب الهدف المنشود.

٣- العلامة السيّد جواد المصطفوى :

يقول فى كتابه الكاشف (٢٦) : لقد كنت حفيّاً بهذا الكتاب منذه عضاضة الغصن ، و ميعة الشباب اقضى ، معه طويل الساعات ، اردد عباراته ، واستنبط معانيه . فنزلته منزلة السمير و الجليس و خلوت اليه كلما فقد الانيس .

من احدى سمات الادب البارزة و التى تفصلها عن العلم هو عدم استجلاب الملال و الضجر خلافاً لما هو الحاكم فى العلوم ، فعلى الاديب السير قدماً على خطى نهج البلاغة حتى ينشد ضالته .

٤- الدكتور اسد الله مبشرى (٢٧) :

و هو صاحب ترجمه حيث يقول : على اى حال لو ترجمت هذه الكلمات التى لا نظير لها وهى معدن النور، آلاف المرات ، لم تكن كافية ، لأنك تجد فى كل ترجمة بحرأملوء بالجواهر ، وان لكل مترجم طريقته الخاصة فى البيان وان تلك التراجم ستبت لنا شقائق نعمان اخرى فى مزارع القلوب .

اكرم بهذا البيان الادبى الرائع ، احاسيس صادقة ، نابعة من العاطفة المتأثرة بادب نهج البلاغة .



٥- الدكتور البستاني :

يقول (٢٨) : (ان مهمة الفن العظيم هو ان يأسر بها القلوب) و لم يتسر هذا الامر الا عن طريق العاطفة . وله تحاليل ممتعة للعاطفة فى كتابة لهنج البلاغة : و اما الادباء العرب المعاصرون فنذكر منهم :

١- الدكتور عمر فروخ (٢٩) :

يقول : وكانت غاية الخطابة التأثير البلاغى من طريق الالفاظ و التراكيب التى تحسن العاطفة و تذكر بالمثل العليا ، و تذكى شعلة الدين فى النفوس فى الجموع الحاشدة لا الاقناع البرهانى الذى يحتكم فيه المتناظرون الى العقل و المنطق . لم تر تجليسا لهذا الكلام الا ان تطالع خطب نهج البلاغة لامير المؤمنين (ع) .

٢- الاستاذ الدكتور صبحى الصالح (٣٠) :

ذكر الدكتور صبحى الصالح فى مقدمه كتابه مظهراً لبعض انفعالاته و احساسيه
حيال كلام الامام (ع) قائلاً:

الف: (خطبته الشقشقية التى فاضت على لسانه هادرة فكانت - كمال قال - شقشقة
هدرت ثم قرّت ، و امتلات بالفاظ التاوه و التوجّع و الانين .) و المعروف انّ التاوه و
الوجع و الانين لا يصدر الا عن مصدر الغضب و ما الغضب الا ركن من اركان العاطفة ،
و مرّة يرى العاطفة ناشئة من الرغبة و الرهبة حيث يقول : (و رسم المشاهد الآخرة
لوحات كمالات فاراع و أرهب، و انّ علياً (ع) لا يرى كالنار نام هاربها ، و لا كالجنة
نام طالبها .) و كذلك أنّك ترى تصاعد هذه الرهبة فى كلامه ، و وصيته لابنه محمّد
بن الحنفية يوم الجمل : تدّ فى الارض قدمك ، ارم بصرک اقصى القوم ، و غضّ
بصرک ، و اعلم انّ النصر من عند الله سبحانه) ، فما احلى هذه الصور الرائعة حيث
تجعلك امام بطل مرهوب لا يخاف الا الله تعالى ، فهذا الكلام يزيد النشاط ثباتاً فى
نفسه مخاطبه و لما تحقق الصورة و تكامل لدى ابنه تزيد العدوّ رعباً و فراراً . روعة
و جمال لن تصيب مثليها الا قليلاً.

وترى ايضاً صبحى الصالح يشير الى اصل آخر من اصول العاطفة الا وهو الخوف
حيث يقول : (و يخوفّ الناس عاقبة الظلم و الجور قائلاً : ليس فى الجور عوض من
العدل . و يكره اليهم الشرّ قائلاً) فالغالب بالشرّ مغلوب) و كذلك تراه يخوفّ من
الخيانة قائلاً (فانّ اعظم الخيانة خيانة الامّة ، و افظع العشّ غشّ الامّة).

باء: و اخرى يذكر صبحى الصالح (٣١) عللاً لهذه العواطف الخصبة التى القت ظلها
على النهج اما ناشئة من المحيط الخارجى له (ع) : (فانّ ما تخلل حياته السياسية من
الاحداث المريرة الهب مشاعره و اثار عواطفه) و اما ناشئة من المحيط الداخلى

لنفسه الطاهرة (ع) و اما عاطفة علىّ فثائرة جياشة تستمدّ دوافعها من نفسه الغنية بالانفعالات ، و عقيدته الثابتة على الحقّ، فما تكلم الآ و به حاجة الى الكلام ، و ما خطب الآ و لديه باعث على الخطابة (٣٢) .

٣- عبدالله نعمة :

هو صاحب كتاب الادب في ظلّ التشيع يقول (٣٣) : (فقد رايت الامام استهل خطبته بالترغيب في الجهاد، و ذكر آثاره و منزلته عند الله ، و أنّه باب من ابواب الجنة ، اختصّ به اوليائه الراغبين فيه ، ثمّ أوعد تارك الجهاد و خوفه من تركه الذي يجرّ من ورائه الضعف و الاستكانة و العبودية و سيطرة الاجنبي عليه ثم اثاره النخوة فيهم بقضية غزو الاعداء لهم في ديارهم ، و تعرض لفعل الغامديّ قائد تلك الغزوة ، وكيف قتل الرجال و هزم المسلحة و ما ارتكب هناك من الجرائم الكبيرة ، ثم انه لمس بيده نقطة حساسة هي اهم ما يشير الرجل المسلم و يلهب في رأسه النخوة و الغيرة و هي قضية العرض ، فقد اخبرهم ان الرجل من جند الغامديّ كان يدخل على المرأة فيسلبها حليها و يمضي بامان لا يمكنها ان تعتصم منه ، و قد رأيت كيف عرض في خطبه الى نقاط كثيرة من شأنها ان تلهب حماسهم و تذكي شعورهم) فعنصر العاطفة من اهم ما تمتاز بها خطبه عليه السلام .

و اما المسيحون المعاصرون من اصحاب الذوق الادبيّ الرائع الذين لا يشكّ فيهم احد ، فمنهم :

١- جورج جرداق صاحب موسوعة الامام على صوت العدالة الانسانية ، يقول (٣٤) (فاذا بها لا تمرّ على خياله الخصب و عاطفته الحارة الا لتتحرك و تنمو و تبعث امتدادات و نبض و خفوق ، فما هي الا حياة) . حيث يرى جورج جرداق ان

عنصرى الخيال و العاطفة يشكلان الحياة فى نهج البلاغة ، فما اعظمها من فكرة ، و لابدّ للادباء ان يستمدوا الحياة من ادب نهج البلاغة .
٢- ميخائيل نعيمة:

من احد الادباء اللبنانيين المعاصرين يقول فى مقدمة كتاب جورج جرداق، (٣٥) : (و بطولات الامام ما اقتضت يوماً على ميادين الحرب فقد كان بطلاً فى صفاء بصيرته ، و طهارة وجدانه ، و سحر بيانه و ... و ... مهما تقادم بها العهد ، لاتزال معقلاً غنياً نعود اليه اليوم و فى كلّ يوم كلما اشتد بنا الوجود الى بناء حياة صالحة ، فاضلة) فعلى (ع) بطل فى ساحه البيان و سحره ، و ما يتمّ ذلك الا عن طريق عنصر العاطفة:

٣- حنا الفاخورى:

يقول (٣٦) ، (الخطب و المواعظ هى اصدق صورة لنفس الامام اودعها اعطر ما فى قلبه من التقوى الحقيقة المرتكزة على ايمان وثيق بالله و الإعجاب بمخلوقاته وكمالاته و زهده بالخيرات الزائلة ، وايمان الامام ناطق فى كلّ موعظة ، فهى معطرة بذكر الله تتصاعد منها صلوات حارة جميلة)

هذا و انما ذكرنا هؤلاء الادباء من طبقات مختلفة و امم متفاوتة و عقائد متفرقة حتى نكون بعددين عن العصبية العمياء و ليكون لنا خير شاهد على ما نعتقد به من ادب نهج البلاغة الغنى بالعاطفة .

و اخيراً نشير قليلاً الى تحليل عنصر العاطفة فى الخطبة الجهادية رقم ٢٧ فنقول:
اولاً : خطاب الوجدان ، حيث خاطب نفسه الكريمة (ع) والمستمعين ، قائلاً : (انى قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلاً و نهاراً ، سرّاً و اعلاناً...) فانك ترى من خلال

الكلام نفسه (ع) مطمئنة ارتياحاً، لأنه قام بالواجب الملقى على عاتقه بقوله : دعوتكم ليلاً و نهاراً... و لكن المستمعين آتخذوا التواكل و الخذلان طريقاً لهم كى لا يفلحوا ابداً.

ثانياً : تحريك المشاعر والعواطف عن طريق حبّ الوطن حيث قال:
 (و ملكت عليكم الاوطان) فاحتلال الوطن من قبل العدو يثير الغضب لدى الجمهور حتى يوصلهم الى حدّ الانتقام من المعتدين . ثم عن طريق العرض ، لقد اشار اليه عبدالله نعمه من قبل و هنا نفصل قليلاً و نقول :انظر الى تدرجه فى اتاره العاطفة لدى الجماهير مبتدأً بالمسلمة ثم المعاهدة ، ثم التدرج من الحجل فى الاقدام الى السوار فى الايدي والى القلادة فى الجيد و أخيراً القرب فى الآذان ، فهذا التصاعد يصعد معه الاثارة و الحماسة و الغيرة و الحمية فى النفوس و تشحنها حقدا و حنقا على العدو . ثم عن طريق اثارت الشعور الديني قائلاً : فيها عجباً! عجباً! - والله - يميم القلب و يجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم و تفرقكم عن حقكم ! فقبحاً لكم و ترحاً حين صرتم غرضاً يرمى : يغار عليكم و لا تغيرون ، و تغزون و لاتغزون و يعصى الله و ترضون ! ثم عن طريق الخوف المستولى فى نفوسهم حيث يقول: فانتم والله من السيف افرّ، و ليست المسألة ،مسأله الصيف والشتاء والحرو والبرد أما هو الخوف من العدو . ثم عن طريق صدق العاطفة : حيث يقسم بالله العظيم قائلاً : فوالله ما غزى قوم قطّ فى عقر دارهم (وسطها) الا ذلوا ، ثم تراه بنفعل مراراً خلال الخطبة و يدعو عليهم بالويل و الثبور قائلاً لهم : فبحاً لكم و ترحاً (هماً و حزنناً)، و اخرى : قاتلكم الله لقد ملأتم قبلى قحياً (ما فى الجرح من صديد) ، و شحنتم (ملأتم) صدرى غيظاً ، و جر عتمونى نغب (جرح التهام) (الهم) انفاساً (جرعة بعد جرعة) و افسدتم علىّ راىي بالعصيان و الخذلان .

واخيراً تبدو امارات اليأس فى كلامه حيث يقول : لوددت أنى لم اركم ولم اعرفكم معرفة (والله) جرئت ندماً و اعقبت سدماً (هماً و غيظاً) .
و يختم الخطاب فى النهاية بالمثل المعروف : ولكن لا رأى لمن لا يطاع ، آسياً من الجمهور عارضاً عنهم صفحاً .
النتيجة : اننى اقطع جازماً ان نهج البلاغه مملوء بعناصر الادب الفنية بخاصه العنصر العاطفى و لا بدّ للمشتغلين فى حقول الادب الاقبال على ادب نهج البلاغه و التعرف على الانواع الادبىة و القيم الشعورية و التعبيرية و ... و ... اكثر فاكثر .



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامى

الهوامش

- ١- الراغب الاصفهانی ، المفردات ، ص ٣٣٨ .
- ٢- ابن رشيق، العمدة ، ج ١ : ١٢٠ .
- ٣- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٢ ، ٢٣١ .
- ٤- ايضاً ، ج ٣ ، ٥١ .
- ٥- ايضاً، ج ٤ ، ٣٤ .
- ٦- ايضاً، ج ٣ : ٥١
- ٧- سيد قطب ، النقد الادبي ، ص ٣٥ .
- ٨- صبحي الصالح ، نهج البلاغة ، ص ٥٠ .
- ٩- السيد جواد المصطفوي ، الكاشف، ص ٤ .
- ١٠- يقول ابن ابي الحديد في ج ١ : ١٤٥ ، هو جندب بن عفيف الازدي .
- ١١- الجاحظ، البيان و التبيين ، تحقيق محمد باقر رستم ، ص ٢٣٩ .
- ١٢- هو همام بن شريح بن يزيد بن مره ... بن سعد العشيرة ، وكان من شيعة امير المؤمنين عليه السلام و اوليائه ، و كان عابداً (ابن الحديد، ج ٢ ، ٥٢٨) .
- ١٣- صبحي الصالح ، نهج البلاغة ، ص ٣٥ .
- ١٤- ايضاً، ص ٦٣ .
- ١٥- هو ابو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، و كان جدّه سعد مولى العلاء بن وهب العامري ... و كان يعرف بعبد الحميد الاكبر تمييزاً له من عبد الحميد الاصغر ... فلما انتقلت الخلافة الى مروان بن محمد في اوائل ١٢٧ هـ ، انتقل معه عبد الحميد من ارمنيّة الى دمشق و اصبح الكاتب الاول في الخلافة الامويّة ... قال ابو الهلال العسكري (م ، ٣٩٥ هـ) : كان عبد الحميد الكاتب ، استخراج

امثله الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها الى اللسان العربي ، (عمر فروخ ج ١ ، ٧٢٣).

١٦- هو ابو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة الحدّاقى الفارقى ، ولد سنة ٣٣٥هـ . (بميا فارقين) ، و عاش واعظاً بحلب في بلاط سيف الدولة ، و توفي في وطنه ميافارقين سنة ٣٧٤ هـ ، قبل ان يبلغ اربعين سنه من العمر . (برو كلمان ج ٢ ، ١٠٨).

١٧- و قيل ان هذا القول لابن المقفع .

١٨- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغه ، ج ١ ، ٢.

١٩- ايضاً ج ٣ ، ٥١.

٢٠- عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع بن عصر بن عكّ بن شعل بن معاوية بن الحارث ، كان شاعراً مقدماً عند بني امية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك ... وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام . وكان منزله بدمشق . و هو من حاضرة الشعراء لامن باديتهم . (الاجانى، ج ٩ ، ٢١٠) ، قال ابن قتيبة في الشعر و الشعراء في حلق عدى بن الرقاع ، ص ٢٩٢ ، و هو احسن من وصف ظبية وصفاً فقال:

كالظبية البكر الفريدة ترتعى من ارضها قفرانها و عهداها

خضبت لها عقد البراق جبينها من عركها علجانها و عرادها

.....

ترجى اغنّ كان ابره رقة قلم اصاب من الدواة مدادها

و ذكر النويرى القصيدة كاملة في ج ٤ : ٢٥٤-٢٥٧ من كتاب نهاية الارب.

- ٢١- ابن الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٣ : ٥١.
- ٢٢- بسطام بن قیس الشیبانی البکری ، کان من فرسان العرب (دائرة المعارف الاعلمی ، (ج٧ ، ١٢٦).
- ٢٣- هو عامر بن الطفیل بن مالک بن جعفر من بنی عامر بن صعصعة من قیس عیلان ، ... ولد بعيد يوم شعب جيلة ، في نحو سنة ٦٧ق. (٥٥٥ م) في نجد و نشأ فارساً ... و هو شاعر فحل مجيد برع في الحماسة و الفخر ... (عمر فروخ ، ج١ : ٢١٩).
- ٢٤- محمد دشتی ، ترجمه نهج البلاغة ، ص : ١٤.
- ٢٥- فیض الاسلام ، ترجمه نهج البلاغة ، ص : ٧.
- ٢٦- السيد جواد المصطفوی ، الکاشف ، ص ٣.
- ٢٧- اسدالله مبشری ، ترجمه نهج البلاغة ، ص ٢٠.
- ٢٨- محمود البستانی ، تاریخ الادب العربی ، ص ٢١٥.
- ٢٩- عمر فروخ ، تاریخ الادب العربی ، ج ١ ، ٢٥٦.
- ٣٠- صبحی الصالح ، نهج البلاغة ، ص ١ ، وما بعدها.
- ٣١- ايضاً ، ص ١٠.
- ٣٢- ايضاً ، ص ١٦.
- ٣٣- عبدالله نعمه ، في ظلّ التشيع ، ص ١٢٢.
- ٣٤- جورج جرداق ، موسوعة الامام علي ، صوت العدالة الانسانية ، ج ٣ : ٢٢١.
- ٣٥- ايضاً ، ص : ٢٠.
- ٣٦- حنا الفاخوري ، تاريخ الادب العربی ، ص ٣٢٥.

المصادر

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغه ، التراث العربى ، بيروت .
- ٣- الاعلمى محمد حسين ، دائرة المعارف ، الحكمة ، ط ٢ ، ١٣٧٤هـ قم .
- ٤- ابوالفرج الاصفهانى ، الاغانى ، التراث العربى ، ط ١ ، ١٩٩٤ ، بيروت .
- ٥- بروكلمان كارل ، تاريخ الادب العربى ، دائرة المعارف ، ط ٣ ، مصر .
- ٦- البستاني محمود ، تاريخ الادب العربى ، مجمع البحوث الاسلاميه ، ١٤١٠ ، بيروت .
- ٧- الجاحظ عمرو بن بحر ، البيان و التبيين . الشركه اللبنانيه ، لبنان .
- ٨- جرداق جورج ، الامام على صوت العدالة الانسانيه ، مكتبة الحياة ، ١٩٧٠ ، بيروت .
- ٩- دشتى محمد ، ترجمه نهج البلاغه ، نشر مشرقين ، ١٣٧٩ ، ايران ، هفتم .
- ١٠- الصالح صبحى ، نهج البلاغه ، ١٣٧٨ ، بيروت ، الاولى .
- ١١- عبدالباقي محمد ، المعجم المفهرس ، دارالكتب المصريه ، ١٣٦٤ ، مصر .
- ١٢- الفاخورى حنا ، تاريخ الادب العربى ، البوليسيه ، بيروت ، السادسة .
- ١٣- فروخ عمر ، تاريخ الادب العربى ، دارالعلم ، ١٣٨٨ ، بيروت ، الثانيه .
- ١٤- فيض الاسلام على نقى ، ترجمه و شرح نهج البلاغه ، نشر فيض ، ١٣٦٥ ، تهران .
- ١٥- مبشرى اسدالله ، نهج البلاغه ، فرهنگ اسلامى ، ١٣٦٣ ، تهران .

۱۶- المصطفوی سیدجواد ، الکاشف ، دارالکتب الاسلامیه ، ۱۳۹۵ ، تهران ،
الثانیة .

۱۷- نعمه عبدالله ، الادب فی ظلّ التشیع ، دارالتوجیه الاسلامیه ، ۱۴۰۰ ، بیروت
، الثانیة .

۱۸- النویری احمد بن عبدالوهاب ، نهاية الارب ، الارشاد القومي ، مصر .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی